يا رب يا متجلي اهلك العثمانلي

واجتمع العلماء ببيت القاضي وهم في حالة غضب شديد، وازدحم الناس حولهم، وتعالت الهتافات الغاضبة، ووصلت أصواتها إلى كل مكان في القاهرة وردد الناس:

- شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم..
- يا رب يا متجلي، اهلك العثمانلي
- حسبنا الله ونعم الوكيل
- يا لطيف.. يا لطيف
- يا رب يا متجلي اهلك العثمانلي

وغير ذلك من الهتافات الغاضبة، ويتفق العلماء على كتابة عرض حال وإرساله للوالي، فيأتيهم الجواب في اليوم التالي أنه سينفذ كل طلباتهم، ويطلب منهم الحضور إليه في القلعة للتشاور، فيشعرون أن هناك خدعة للتخلص منهم، فلا يستجيبون لدعوته. كانت كل هذه الأحداث المتصاعدة تؤكد أن تخطيط محمد علي يتم تنفيذه على أكمل وجه، وأصبح لا يخفي على محمد بك لاظ، فقد بدأ يجمع خيوط اللعبة التي يلعبها أستاذه، فهي تعتمد على دفع الجنود للمطالبة بالأموال، فيضطر الوالي إلى فرض ضرائب جديدة على الشعب، فيلجأ الشعب إلى المشايخ والعلماء، فيلجئون إلى محمد علي،

إنها متوالية تصاعدية، شاهدها من قبل تحدث مع الحكام السابقين ومع البرديسي التعيس، وها هو ينفذها مع أحمد خورشيد باشا بالأسلوب نفسه، وقد استطاع محمد علي أن يقدم نفسه على أنه الحل الوحيد المتاح لجميع المشكلات بالنسبة للشعب وللمشايخ وللعسكر، يا له من داهية طموح، له قدرة كبيرة على التحايل، إضافة إلى أن الرأي العام يقف إلى جواره، كما أنه يمتلك القوة المسلحة، فهذا الرجل الماهر عرف كيف يستميل إليه الشيوخ والشعب على حد سواء، وذلك بجعلهم يعتقدون أن سبب الأزمة الاقتصادية، وبالتالي الاضطرابات التي تهز القاهرة، ناجمة عن سوء الإدارة ويريد إشاعة الاستياء، ويفسح الطريق لوصوله إلى العرش دون أن يبدو أنه يسعى إليه، فهو يملك الآن تعاطف الشعب، وليس عليه إلا أن يظهر نواياه الخفية لتتحقق، ولكن ميكيافيلي يريد أن يُحمل إلى السلطة من طرف الشعب، محاولًا ليس فقط الحصول على دعم المشايخ والشعب، بل وأن يبدو كحاجة ضرورية ولا غنى عنها بالنسبة للباب العالي.